الجغرافي هو معيار تقويم المواقف ، لانه هو الذي حدد ، موضوعيا ، موقفا سياسيا تفصيليا لهذا الشاعر او ذاك ، فتصبح غدوى طوقان — على سبيل المثال — شاعرة مقاومة لانها لا تعترف بوجود اسرائيل . ولو عاش معين بسيسو في مدينة عكا لما كان شاعر مقاومة لانه لن يكرس شعره للتصريح بانه لا يعترف بوجود اسرائيل . اما محمود درويش — على سبيل المثال — فلو هاجر الى الكويت لكان شاعر مقاومة ، لان واقعه هناك لن يدفعه الى محاورة اليهود »(٢٥) . وها هو درويش قد هاجر الى القاهرة ، فهل حلت بذلك المشكلة . بالرغم من انه يجيب على السؤال : « هل انت شاعر مقاومة ؟ » بقوله : « لا ادري . ولا يهمني هذا السؤال كثيرا » .

« ليس كل شعر مقاومة شعرا ثوريا » . وبهذا المعنى املك ان اجد في محمود درويش شاعرا ثوريا . اولا قد تتوفر لديه الخامة الاولى التي يتمتع بها معظم شعراء الارض المحتلة . ولانه ثانيا ، وهو الامر المهم ، يجمع في عمله الابداعي طاقتين « الشعر في الثورة » و «الثورة في الشعر» . ان معاناته تركيبة جدلية بين الرؤيا الثورية للانسان والعالم ، والرؤيا الثورية لطبيعة عملية الخلق الشعري . وهذا معنى نموه الدائم والمتغير . ان سميح القاسم وتوفيق زياد — بالرغم من ان هذا الاخير ينتمي الى جيل اسبق — بقيا وباشكال عدة ضمن العمل الشعري في حدود « الصورة واللغة الغنائية » المباشرة ، والمتوترة ، والمكررة ، وخاصة لدى سميح القاسم . انه حتى مجموعته الاخيرة « الموت الكبير » — دار الآداب ، لم يستطع ان يقتنع بقيمة تجاوزه لتلك «الحالة العاطفية » ، التي تعيد نفسها في اطر مختلفة ولكن ضمن دائرة واحدة ضيقة . ان محمود درويش تجاوز «الصورة الغنائية» الى « الرؤيا الغنائية » ، ان النهر الشفاف الصغير فيه ، بدأ يتحد ببحر شفاف جديد . فهو لم يقنع كما كان من قبل « بان اللعبة الفنية عنده ، مكشوفة خلف منديل شفاف » لقد حول هذا المنديل الى شراع فاتن يعكس بحر المعاناة والرؤى المتفجرة . ان قصيدته « سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا » والتي تضمنها ديوانه الاخير « احبك او لا احبك » — دار الآداب ، لخير مثال على وجه محمود درويش الجديد .

ثمة جيل جديد تفتح وعيه بتواقت مع الانفجار الحزيراني . هذا الجيل الذي واجه العالم بكل تحدياته في الستينات ، واخذ يراقبه ويتفاعل معه بعنف . هو وحده دون شك الذي سوف يعكس في المدى الآتي كل تناقضات هذه الفترة الفاجعة ، بعطاءات ابداعية رائعة وهامة . ان بعض شعراء هذا الجيل الشاب ، الذي حمل عبء حزيران على اكتافه ، شعرا مواجها ومعريا وصارخا لا يزيد مسؤولية عن اولئك الآخرين الذين يكتمون حزيران في اعماق تجربتهم ليخرج شجرة رافضة تجتاح كل الحدود من اجل التغيير الاعمق .

ليست الاسماء في هذه الفترة هي المهمة ، فالحدود الفاصلة لم تنضج بعد ، ولكنه المجرى « الحزيراني » العام هو السمة الاساسية ، بكل تياراته ، واختلاف رؤياه للعالم ولعملية الكتابة ذاتها . « ... ان من المنتظر من كل شاعر جديد ، لا سيما متى كان يصدر عن تجربة عجيبة كالتجربة الفلسطينية ، ان يطمح الى زحزحة تاريخ الشعر وكأنه لم يكتب بعد في العالم قصيدة واحدة ، وان القصيدة التي ستحفر في ذاكرة البشر الرعب من الظلم وبتر الاصول وهوان الشعوب ، القصيدة التي ستخترق في العربي قرون النوم وتلامس تلك النقطة النارية المنفية في غور ما وراء الصبر والقبول وراء المصطلحات والامثال ، وراء شهوة الحكم والترف والحرير الالف ليلي ، هذه القصيدة تنتظر الشعراء في لحظة من لحظات الجحيم الحاضر »(٢٦) .